— « لست ادري . هذا ما يحيرني . . »

— « كم عمره الآن ؟ »

— « ٣٨ او ٤٠ سنة ، واعتقد انه ما زال قويا ، ولكنني لا أعرف شيئا عنه ، بل انني لا اعرف الى اين ذهب ».

وخيم الصمت ، أعمق غورا ، هذه المرة ، ووقف حمدان ثم سمعت خطواته تدب الى الداخل . وما لبثت أن سمعت أصوات أرغفة العجين وهي تصطفق على أرض بيت النار فتصدر ذلك الصوت الحميم الذي يشبه تصفيقا خجولا لطفل يختبىء وراء ظهرك .

كان حمدان ، طوال السنوات التي عرفته فيها ، يميل الى اعتبار والده ميتا ، فقد حذفه من حياته بنجاح او شبه نجاح ، وقد اعتقدت دائما ان السنتين اللتين أمضاهما مع امه المتزوجة من ذلك الرجل الفظ هما اللتان شكلتا أساس هذه العادة ، ففي بيت من ذلك النوع لا بد ان يرغم الطفل على نسيان والده وعلى حذفه من وجوده ، ومع ذلك فقد كان من السهل أن يكتشف المرء أن حمدان يحتفظ لوالده بمكانة خاصة في ذاكرته ، ولكن كرجل ميت ليس أكثر ، مثلما يتحدث حفيد عن كنز دفنه جده في مكان مجهول ، ولا أمل له بالعثور عليه ، فلم يبق امامه الا الاعتزاز بذكراه .

ولست أدري بالطبع كيف بنى حمدان لنفسه صورة ذلك الاب الغائب ، الذي تبدت لي حياته الآن عاصفة ومثيرة وايضا محزنة ومغلوبة على أمرها ، ولست أعرف شيئا عن سعة تلك الهوة بين والد حمدان كما هو ، وبينه كما هو في رأس حمدان ، ومهما يكن الامر فقد كنت على يقين بأن حمدان أخذ منذ الآن يقف على عتبة حياة جديدة ، وانني قد أفقده في اية لحظة .

— ١٤ —

مضت أسابيع منذ ذلك اليوم الذي استطاع فيه عبد العاطي ، بالاشارات والكتابة وكل أنواع الاتصال التي اخترعها البشر ، ما عدا السمع والبصر ، أن يشرح لي فيه كيف ظهر والد الولد حمدان الى الوجود فجأة ، قادما من مكان يشبه عالم الموت .

وكان الولد حمدان نفسه قد استغرق في تأمل يكاد لا ينتهي ، ولكنه لم يعد يكترث ، مثلما كان من قبل ، بما يدور حوله ، ومع ذلك فلم يقدر لي ، ولا لعبد العاطي ، أن نرى والد الولد حمدان ولو مرة واحدة ، ولم يكن بوسعنا أن نعرف فيما اذا كان الولد حمدان نفسه يرى والده ، وأين ، ومتى .

وفي لحظات عابرة كان يخيل الي أن الولد حمدان اختـــرع قصة مثيرة من قلب رأسه الصغير ليشغلنا بها أو يشغل نفسه فيها ، على انني لم أكن على يقين من ذلك ، فقد كنت أشك أساسا في قدرة الولد حمدان على اختراع شيء من هذا النوع .

ومهما يكن من أمر فقد استطاع الولد حمدان ان ينسينا ، ولو الى حين ، قصتنا مع الولي عبد العاطي ، وكان يمكن له أن يجرنا بعيدا عما كنا غارقين فيه ، لولا انني وجدت نفسي انا الآخر اعيش مشكلة غير متوقعة ، فاجأتني في المكتب . .

فقد لاحظنا كلنا كيف أخذ مصطفى يتغيب عن المكتب بين الفينة والاخرى ، ثم امتد غيابه في احدى المرات أسبوعا كاملا . وحين عاد في الاسبوع الماضي كان يلبس بذلة خاكية ، وقد جعلنا — كأنما دون قصد — نرى المسدس الكبير الذي كان يدسه تحت حزامه .

وفي اثناء غيابه كانت الشائعات قد اكتسحت المكتب ، وقيل لي ان مصطفى أصبح فدائيا ، وهو يختفي بين الفينة والاخرى في مكان ما ليتدرب على استخدام مختلف الاسلحة ، وانه قد تسلم قيادة مجموعة من الفدائيين الشبان التحقوا قبل فترة وجيزة بالثـــورة الآخذة في الصعود .